

مشروع الابداع عند حسن حنفي علم الاستغراب في مقابل علم الاستشراق

## Hassan Hanafi s Creativity Project The science of astonishment versus orientalism

شلفوم سامية<sup>1</sup> ، جاري جويدة<sup>2</sup>

<sup>1</sup> جامعة الجزائر 2 بوزريعة ، الجزائر samiamazed.2020@gmil.com

<sup>2</sup> جامعة الجزائر 2 بوزريعة، الجزائر ، djaouidadjari@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/07/30 تاريخ القبول: 2022/08/22 تاريخ النشر: 2022/10/08

ملخص: لم يكف الغربيون عن دراسة الشرق العربي وتمزيق وحدته، لذا وجب على المفكر العربي الدخول في مرحلة جديدة فيما يخص الظاهرة الاستشراقية، ومن أهم المشاريع الفكرية العربية التي وقفت على الموضوع بالدراسة و التحليل والنقد نجد: مشروع " علم الاستغراب " لحسن حنفي، وإن كانت هناك إشارات سابقة في محاولة دراسة الغرب كثقافة وإخضاعه لمنظورنا رغم قلتها، التي تعد أهم الدراسات - والتي قام بها في كتابه الموسوم بـ " مقدمة في علم الاستغراب " بهذه الدراسة نقدم الاسلام للعالم بأسلوب علمي نغير بها النظرة التي شاعت عليه من طرف الغرب، ونكف عن تلك النظرة الإعجابية بالآخر، و وضعه في ميزان التحليل و النقد و الانتقاء، لقد استطاع مشروع حنفي الربط بين الفكر الغربي والفكر العربي - أي بين الحاضر و الماضي - كما أمكننا من معرفة حقيقة الاستشراق و نقده و مقابله بالاستغراب، لهذا أصبح بإمكاننا التصدي و مواجهة الاستشراق بالاستغراب.

الكلمات المفتاحية : العرب، الغرب، الاستشراق، الاستغراب، الفكر

**Abstract** Westerns have yet been stopped on the study of the Arab east and shredded their unity .

On the Arab thinker, entre a new phase in order to build cash approaches for previous intellectual projects in search of new

mechanisms for the establishment of a sharp scientific cash method not similar to the western view of the west. The other and its methods on the second party.

All this is to lack the eastern readings of the west and its limited if compared to what west produced by the east from research and studies in various fields.

One of the most important Arabic intellectual projects stood by the study, criticism and analysis to find the project of tag be aware of his companion Hassan Hanafi. The study of Hanafi is one of the most important studines made in his label, introduction to the science of suggestion.

**Keywords:** Arabs , West, Orientalism, Occidentalism, Thought

المؤلف المرسل: شلغوم سامية

1. مقدمة : إن الانا العربية مطالبة بإعادة بناء معرفة جديدة و عصرية للمشروع الحضاري تكون الانطلاقة فيه من الانا باتجاه الآخر، وهذا ما نجده في مشروع مفكرنا " حسن حنفي" المعنون بـ " علم الاستغراب " و الذي يشكل جزءا من جهاته الثلاث - و بالتحديد الجهة الثانية - بها نتجه نحو التقدم للتخلص من أزمة التخلف التي أرهقت كاهل المواطن العربي، حاول حنفي بمشروعه تجاوز ثنائية الرفض و القبول و الاتجاه نحو اختراق ثقافة الآخر و تحليل بنيته تحليليا علميا موضوعيا. لقد تزامم الوافد الغربي الموروث القديم فأصبح الغربي المعاصر هو الحاكم و نحن المحكومين، ظل الفكر العربي لسنوات طويلة يشتغل على مقولة " الأصالة و المعاصرة "، " الانا و الآخر " و غيرها، دون أن يخرج بمشروع لا هو متصل بالماضي لفهم الحاضر، و لا بمقدوره تمثل النموذج الغربي، بل كانت أغلب الكتابات العربية يغلب عليها طابع التكرار دون ابداع. لكن مع اتجاه الوعي العربي مؤخرا نحو النقد أمثال محمد عابد الجابري بمشروعه " نقد العقل العربي "، و محمد أركون بمشروعه " نقد العقل الاسلامي " إلى جانب مشروع " حسن حنفي " " التراث و التجديد " وغيرها من المشاريع التي دفعت بالوعي العربي إلى

## مشروع الابداع عند حسن حنفي علم الاستغراب في مقابل علم الاستشراق

التبلور و التقدم، فقد قاموا بدراسة الأنا و علاقتها بالآخر حيث خضع الموروث القديم أو الوافد للنقد، إنها النقطة التي نبه إليها حسن حنفي بجبهاته الثلاث. أزماننا كلها يكون الغرب أو الوافد سببا في بروزها و تبلورها، قام باختراق حدودنا فتم غزونا، فكانت العلاقة بين الانا و الآخر غير سوية؛ فالواحد ينتج وينوع في منتوجاته و الثاني - الانا - مجرد مستهلك مما جعلها دائمة الشعور بالنقص و الدونية، إنها اللحظة المناسبة حسب حنفي لإنشاء علم جديد يكون فيه قلب الأدوار و تبادل المواقع، إنه " علم الاستغراب " الذي يعد الوجه الآخر والمقابل بل و النقيض من الاستشراق.

يهدف علم الاستغراب إذن إلى فك العقدة التاريخية المزدوجة بين الانا و لآخر، و الجدل بين مركب النقص عند الانا و مركب العظمة عند الآخر. بهذا العلم نخلص الثورات الحديثة من عثرتها، و العمل على تحريرها من المستعمر في كل الميادين من أجل بناء عالم جديد، و استئناف ما بدأه أسلافنا، هذا إن أرادت الذات العربية نيل الاستقلال الكامل، و الحذر من ظاهرة التغريب التي تجتاح أراضي الوطن العربي ، إننا لا نملك أي خيار في النهوض إلا بالإبداع، إبداع أساليب جديدة، أصبح الاستشراق بكل أهدافه معروفا؛ و الغايات الغربية واضحة مكشوفة، كل هذا يدفعنا لطرح بعض التساؤلات و التي لا تقل أهمية عما طرح من طرف المفكرين الذين سبقونا في تناول هذه الفكرة منها: ما مفهوم الاستشراق ؟ و ما هي جذوره؟، و ما هو مفهوم الاستغراب؟، و ما هي جذوره؟، وفيما تكمن أهمية علم الاستغراب؟، و ما هي مشروعية أسباب تأسيسه؟.

أولا: الاستشراق مفهومه و جذوره

**(01): مفهوم الاستشراق**

### جاري جويدة. شلغوم سامية

أصبح اليوم الاستشراق علما له مدارس و مناهجه و أغراضه ومؤلفاته، مما دفع بالباحثين للاعتناء بهذا المفهوم و الوقوف على معالمه البارزة و آفاقه ومظاهره و أهدافه قبل البحث في آثاره و ميادين نشاطه، وهذا يدعنا نتساءل عن ماهية الاستشراق ؟ هل يسعى للتوفيق بين الشرق و الغرب ؟، و ما هي جذور هذا العلم ؟.

(أ): **المعنى اللغوي:** لقد حدث اختلاف بين الباحثين في تحديد مفهوم الاستشراق لاختلاف البنية الفكرية لهؤلاء حول المصطلحات و المفاهيم، فعلى الدارس أن يبحث في جذور هذا الاختلاف بهدف مقارنة الآراء و الأفكار للوصول إلى تعريف جامع مانع.

غالبا ما تعرف كلمة " الاستشراق " على أنها مشتقة من الفعل " شرق " ، فيقال شرقت الشمس شرقا، و شروقا إذا طلعت (مجمع ، 2004، صفحة 480).

### (ب): **المعنى الاصطلاحي**

مفهوم الاستشراق l'orientalisme يدل على ذلك التيار الفكري المهتم بدراسة الشرق - الشرق العربي الاسلامي - بالبحث في أمور الشرقيين تراثهم و تاريخهم، إنه مفهوم من خلاله نفهم رغبة الغرب في الهيمنة على الشرق لاعتقاده بالأحقية في السيطرة و حمل شعار الحضارة دون سواها ثم إخضاع الشرق الذي يبدو في نظرها متخلفا و حامل لكل القيم السلبية (حنفي ، مقدمة في علم الاستغراب ، 1991، صفحة 31).

و يعني الاستشراق لدى " إدوارد سعيد " أسلوب تفكير يقوم على التمييز المعرفي و الوجودي بين ما يسمى شرق و ما يسمى غرب، و باختصار الاستشراق أسلوب غربي للهيمنة على الشرق و إعادة بنائه و التسلط عليه، (ادوارد ، 2006،

## مشروع الابداع عند حسن حنفي علم الاستغراب في مقابل علم الاستشراق

صفحة 47) أصبح الاستشراق أداة وظفها الغرب لاختراق الثقافات وزرع الشك و تفكيك هوية الشرق و خلق صراع فيه.

و في موضع آخر حاول إدوارد سعيد أن يكون أكثر موضوعية في موقفه النقدي، فبين أنواع الاتجاهات التي تناولت إشكالية الاستشراق بالنقد؛ فبعضهم يهاجم الاستشراق كمقدمة للتشديد على فضائل هذه الثقافة، والبعض الآخر ينقد الاستشراق في سياق الدفاع ضد الهجمات التي تطلق على هذا المعتقد، وفريق آخر ينتقد الاستشراق بسبب تشويبه و تزيفه لطبيعة الاسلام (ادوارد و حديد، تعقبات على الاستشراق، 1996، صفحة 41)، حسب إدوارد سعيد إنها نظرة سطحية تجاه الاستشراق من قبل النخب العربية، فهي مواقف ايديولوجية و سياسية خالية من كل علمية في دراستها للاستشراق، الأمر الذي أدى لتأسيس ثقافة العداة للآخر ورفضه العلاقة مع الغرب .

و يعرف "ميكائيل أنجلو جويدي" ( 1886.1946) علم الاستشراق قائلاً: " هو الوسيلة لدراسة كيفية النفوذ المتبادل بين الشرق و الغرب إنما هو " علم الشرق "، و هذا العلم ليس مقصوراً على مجرد دراسة اللغات أو اللهجات أو تقلبات تاريخ بعض الشعوب ... و أنه بناء على الارتباط المتين بين التمدن الغربي و التمدن الشرقي، ليس علم الشرق إلا باباً من أبواب تاريخ الروح الانساني..." (سمائلوكتش، 2001، صفحة 24)، إن هذا العلم يتعمق في دراسة أحوال الشعوب الشرقية و لغاتها و حضارتها و تاريخها ثم يستفيد من البحوث الجغرافية و الطبيعية لخدمة وطنهم .

و حسب مالك بن نبي: " إننا نعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الاسلامي و عن الحضارة الاسلامية، ثم علينا أن نصنف أسماءهم في شبه ما يسمى " طبقات " على صنفين ' (بن نبي ، 1969، صفحة 5).

أ. من حيث الزمن : طبقة القدماء مثل "جربر دورياك" Gerbert d'Aurillac و القديس "توما الإكويني" Thomas Aquinas و طبقة المحدثين مثل "كاره دوقو" و "جولد تسهير".

ب. من حيث الاتجاه العام نحو الاسلام و المسلمين لكتابتهم: فهناك طبقة المادحين للحضارة الاسلامية و طبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعته.

و أما عن " معنى المستشرق " orientaliste هو ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق، فحسب إدوارد سعيد: " المستشرق هو كل من يعمل بالتدريس أو الكتابة أو إجراء لبحوث في موضوعات خاصة بالشرق سواء كان ذلك في مجال الأنتروبولوجيا أي علم الانسان أو علم الاجتماع، أو التاريخ أو فقه اللغة، سواء كان ذلك يتصل بجوانب الشرق العامة أو الخاصة " (ادوارد ، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، 2006، صفحة 44).

و مفهوم المستشرق ظهر بالتحديد في نهاية القرن الثامن عشر، فالبداية الأولى كانت في اللغة الانجليزية - بإنجلترا - عام 1779م، و أدرج في معجم الأكاديمية الفرنسية عام 1838م (سمايلوقتش، 2001، صفحة 24)، فالمستشرقون إذن هم فئة من علماء الغرب من مسيحين و يهود و ملحدين درسوا لغات الشرق من عربية و فارسية و عبرية و سريانية و غيرها(حسين محمد، 2004، صفحة 11.17).

### المطلب 02): الجذور التاريخية للاستشراق

إن العلاقة الموجودة بين الشرق و الغرب قديمة، و ليس من الغريب أن يهتم الواحد بالآخر؛ فمنذ التقاء الغرب مع العرب باشروا في التساؤل عن أصله و نشأة لغته و آدابه و فلسفته؛ و بعدها أقدموا على الاقتباس من هذه الحضارة - حضارة الشرق العربية و الإسلامية - و التي أصبحت أساس حضارة القارة

مشروع الابداع عند حسن حنفي علم الاستغراب في مقابل علم الاستشراق

الأوروبية، فوجد الغرب في حضارة العرب ما يناسب احتياجاتهم و سد الفراغ الموجود لديهم (سمايلوقتش، 2001، صفحة 70).

في الواقع لا نكاد نعثّر على اتفاق محدد بين الباحثين حول فترة زمنية معينة لنشأة الاستشراق، ربما يعود السبب في ذلك أن أغلب المحاولات كانت بدايتها فردية ومتفرقة وفي هذا الصدد نجد " أحمد سمايلوقتش " يقول بأن بداية نشأة الاستشراق يتحدد: " بأول اتصال بين الشرق و الغرب قبل الميلاد أي مع بداية الصراع بين الفرس و اليونان " (سمايلوقتش، 2001، صفحة 71). أمثال " هيرودوت " اليوناني مؤرخ القرن الخامس قبل الميلاد؛ و ما كتبه عن الشرق و"ثيوفراست " تلميذ أرسطو الذي تحدث فيه عن خصائص بلاد العرب في كتابه " تاريخ النبات " و الجغرافي اليوناني " إسترابون " في مستهل القرن الأول للميلاد والمؤرخ الروماني " بلين " في القرن الثاني للميلاد الذي وضع لوائح بأسماء القبائل و المدن والقرى الموجودة في وسط الجزيرة العربية، إذا البذور الأولى للاستشراق نشأت قبل الميلاد (سمايلوقتش، 2001، صفحة 71).

كان الحديث عن البدايات الأولى للاستشراق تنبثق قبل الميلاد، لكن تأسيسه كعلم له أسسه، قائم بذاته ظهر بعد ذلك بقرون، حيث هناك من أرجع أول اهتمام بالإسلام و دراسته بدأ مع " يوحنا الدمشقي، إلا أنها لا تعد بداية للاستشراق إذ تم اهمال مثل هذه المحاولات من جانب المسيحيين الشرقيين، أين ظهر موقف آخر يقول أن البداية الأولى و الواضحة للاستشراق ترجع إلى مطلع القرن الحادي عشر، بينما يرى " روبير بارت " المستشرق الألماني المعاصر صاحب أحدث ترجمة ألمانية لمعاني القرآن الكريم، أن بدايات الدراسات الاسلامية و العربية في أوروبا ترجع إلى القرن الثاني عشر؛ الذي ترجم معاني القرآن الكريم و لأول مرة إلى اللغة اللاتينية، و هناك من جعل بداية الاستشراق قبل ذلك بقرنين أي القرن العاشر ميلادي، ومع الراهب الفرنسي " جربردي

أوريك " ( 938- 1003م ) الذي سعى للتعرف على العالم الاسلامي و معارفه ونقلها إلى موطنه (زقزوق ، صفحة 19).

لكن هناك من جعل من الحروب الصليبية ( 1096- 1291م ) هي البدايات الفعلية لظهور حركة الاستشراق، فالقساوسة و الرهبان تم تكوينهم بداية من القرن العاشر ميلادي لمجابهة المسلمين، لقد ترعرع هذا العلم في كنف الكنيسة التي كانت ترعاه و توجهه ، كل هذه العصور تتميز بتعصبها للإسلام، وكانت الكنيسة الفاعل الرئيسي لهذا التعصب الأعلى (سمايلوقتش، 2001، صفحة 81) .

لعل من خلال كل هذه الآراء المتباينة الواردة حول نشأة الاستشراق نستنتج أن أرجحها تعود إلى سنة 1312م أين تم عقد مؤتمر أقامته سلطة الكنيسة العالمية، تم فيه التشجيع على تعلم اللغات الشرقية و ثقافتها ودياناتها، وعلى رأسها اللغة العربية في الجامعات الأوروبية مثل جامعة باريس، أكسفورد، بولونيا و غيرها (ادوارد و حديد، تعقبات على الاستشراق، 1996، صفحة 80). وفي القرن السادس عشر الميلادي و ما بعده أدت النزعة الانسانية في عصر النهضة الأوروبية إلى دراسات موضوعية أكثر من سابقها، كما شجعت البابوية الرومانية دراسات لغات الشرق من أجل منفعة التنصير، و في عام 1539م تم إنشاء أول كرسي للغة العربية في الكوليج دي فرانس في باريس، بعدها أصبحت طباعة الكتب العربية في أوروبا بكل فروعها كمؤلفات ابن سينا في الطب والفلسفة (زقزوق ، صفحة 31). لقد حاول المستشرقون التعرف على الشرق، وهم لديهم أهدافهم و مناهجهم البارزة من خلال ترجماتهم و مؤلفاتهم فأثروا في النهضة العربية الحديثة بعدة طرق، بهذا تكون حركة الاستشراق منذ نشأتها الأولى حتى القرن العشرين مرت بثلاثة أطوار هي: التكوين، التقدم، الانطلاق (سمايلوقتش، 2001، صفحة 81).



المبحث الثاني: الاستغراب مفهومه و جذوره

المطلب (01): مفهوم علم الاستغراب

إن مشروع حسن حنفي الحضاري مشروع ثلاثي الجبهات: التراث، الوافد، الواقع، فالجبهة الأولى خصصها للتراث و البحث فيه، و كيف نجعل التراث وسيلة لدفع مسيرة الأنا إلى الأمام، أما الجبهة الثالثة - موقفه من الواقع - لم يكتمل إنجازها بعد، في حين الجبهة الثانية خصص لها كتاب بعنوان " مقدمة في علم الاستغراب " أين جعل فصلا كاملا و هو الفصل الأول؛ لدراسة و مناقشة مفهوم علم الاستغراب، إلى جانب إصداره لطبعة مختصرة عام 2000م كتاب آخر يخدم علم الاستغراب عنوانه " ماذا يعني علم الاستغراب ؟." كان كرد فعل على كل تلك الانتقادات الموجهة لهذا العلم (حنفي، 2000، صفحة 23).

إذا كان علم الاستغراب ينتهي إلى الجبهة الثانية من مشروع حسن حنفي، و الذي يهدف فيه إلى رد الآخر إلى حدوده الطبيعية و تبيان محدوديته، فإن هذه الجبهة شديدة الاتصال بالجبهة الأولى التي تقوم على شرح التراث و فهمه فهما يتلاءم و الراهن، كما لا يبتعد عن الجبهة الثالثة التي لا تقوم إلا بالجبهتين السابقتين، و قبل الدخول في تفاصيل هذا العلم علينا بتحديد هذا المفهوم - علم الاستغراب - و ماذا يقصد به مفكرنا ؟.

أ): المفهوم اللغوي: الاستغراب لغة مأخوذة من كلمة " غرب " التي تعني مغرب الشمس، و بناء على هذا فالاستغراب هو علم الغرب (سمايلوقتش، 2001، صفحة 37)، أي علم به تتم دراسة الحضارة الشرقية للحضارة الغربية.

ب): المفهوم الاصطلاحي

الاستغراب عند حنفي معناه " الوجه الآخر و النقيض من "الاستشراق"، فإذا كان الاستشراق هو رؤية الأنا " الشرق " من خلال الغرب " الآخر"، فإن

الاستغراب معناه دراسة الحضارة الشرقية للحضارة الغربية " (حنفي، 2000،  
صفحة 16).

يهدف " علم الاستغراب " إلى فك العقدة التاريخية المزدوجة بين الأنا  
والآخر، فمنذ ظهور ونشأة الاستشراق الذي اكتمل في المد الاستعماري الأوروبي  
الهادف لجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن الشعوب الشرقية المستعمرة أخذ  
الغرب موقف الريادة فاعتبر اللاغرب هو الآخر، فنشأ لديه مركب النقص من  
كونه موضوعا مدروسا، أما في الاستغراب انقلبت الموازين وتغيرت الأدوار فأصبح  
الغرب الدارس في الأمس هو موضوع الدراسة اليوم، بالاستغراب تم القضاء على  
مركب العظمة لدى الآخر الغربي، و مركب النقص لدى الأنا، هذا هو علم  
الاستغراب الذي يندرج تحت مشروع " التراث والتجديد " فيه نفهم و ندرك  
موقفنا من التراث العربي و بنية و عيه (حنفي ، مقدمة في علم الاستغراب ،  
1991، صفحة 29).

#### المطلب 02): جذور علم الاستغراب

إن علاقتنا بالغرب ليست وليدة العصر الحديث، لهذا يعتبر حسن حنفي  
علم الاستغراب علما غير مستحدث و لا من إنشائه، بل جذوره تعود إلى نشأة الأنا  
الحضارية، كان للانا تعاملات مع الحضارة اليونانية في البداية عن طريق الترجمة  
ثم النقد و تقبل ما يتماشى و الحضارة العربية الاسلامية، فالأخذ من الحضارة  
اليونانية و جعلها موضوع الدراسة لم يشكل عائقا لدى الانا نظرا لقوة و ضخامة  
أسطولهم، لكن مع مجيء الحروب الصليبية تغيرت الأوضاع بالنسبة للحضارة  
الاسلامية، أين تحول الغرب إلى حضارة غازية، هذا هو الأمر الذي دفع بالعرب إلى  
إنشاء رحلات علمية لاكتشاف الحضارة الغربية في كل جوانبها، و ما زاد الأمر  
تضخما و نضجا في الوعي العربي هي حملة نابليون بونابارت التي نهت العلماء إلى  
الفارق الموجود بينهما، إن هذه الأوضاع هي التي دفعت بطرح أسئلة نهضوية

## مشروع الابداع عند حسن حنفي علم الاستغراب في مقابل علم الاستشراق

يستفهمون فيها عن السبب الذي دفع بالغرب للتقدم و في المقابل دفع بنا - العرب .  
للتخلف ؟. فأين يكمن الخلل يا ترى؟، وما عسان نفعل لتجاوز هذا التخلف ؟.

الكثير من رأى في دراسة الشرق للغرب مراوغة لنقص الإمكانيات والتأخر الحضاري و جعل الثقافة الغربية نمط للتحديث لا للدراسة، لكن رغم هذا هناك من اقتنع بإمكانية تأسيس معاهد و مراكز تقوم بالبحث في الثقافة الغربية و مكوناتها و في منتجاتها التقنية، و مستعدون لتأسيس ثقافة الحوار والتواصل و من هؤلاء نجد محمد أركون بمشروعه الحدائي، و إدوارد سعيد في مؤلفه " الاستشراق " و لا ننسى ما كتبه ابن خلدون عن الغرب و حياته و نمط عيشهم في كتابه المشهور " المقدمة " .

لقد صرح حسن حنفي بأن " علم الاستغراب " ليس بجديد لأن علاقتنا بالغرب هي الأخرى ليست وليدة العصر الحديث بل تعود جذورها إلى ما يزيد عن أربعة قرون (حنفي ، مقدمة في علم الاستغراب ، 1991 ، صفحة 57). ففي علاقتنا باليونان تمتد جذور علم الاستغراب، لأن اليونان تعد جزء من الغرب جغرافيا و تاريخيا و حضاريا و إلى اليونان و الرومان تعود مصادر الوعي الأوروبي، كانت الحضارة الاسلامية ذات دراسة استطاعت أن تحول الحضارة اليونانية إلى موضوع دراسة فظهر الجدل بين الأنا و الآخر، (حنفي ، مقدمة في علم الاستغراب ، 1991 ، صفحة 57) و هذه العملية لم تحدث دفعة واحدة حسب حنفي بل مرت بمراحل عدة؛ بها برر مفكرنا الدعوة إلى استغراب الآخر و هذه المراحل هي :

. المرحلة الأولى: التي تم فيها " النقل الحرفي، و اعطاء الأولوية للفظ على المعنى حرصا على اللغة المنقول منها و هي اليونانية مع العناية بنشأة المصطلح الفلسفي " (حنفي ، مقدمة في علم الاستغراب ، 1991 ، صفحة 58) و هذا راجع لجهل المسلمين باللغات الأخرى ما جعلهم يركزون على النقل الحرفي، لكن فيما بعد عرجوا على ترجمة بعض الكتب و أسسوا مدارس خصيصا لهذه المهمة .

. المرحلة الثانية: مرحلة عرفت " بالنقل المعنوي و اعطاء الأولوية للمعنى على اللفظ حرصا على اللغة المنقول إليها، مع بداية التأليف الفلسفي غير المباشر "(حنفي ، مقدمة في علم الاستغراب ، 1991، صفحة 58). والأمر الذي أدى بهم لهذا النوع من النقل يعود سببه لعدم تمكن الأوائل من الترجمة، والأخطاء التي وقعوا فيها .

إن المسلمين في بداية ترجمتهم التراث اليوناني و نقله لجؤوا إلى الانتقاء، و اختيار ما يلائمهم، على عكس ما تراه بعض الفئات سواء المسلمة أو غير المسلمة بأن المسلمين قد عمدوا إلى الترجمة و النقل إقبالا أعى دون تمييز بين ما هو نافع و ما هو ضار لهم، فحسب حنفي : " ليست الترجمة مجرد نقل للنص من لغة إلى لغة أخرى، بل إعادة قراءة و تصحيح لأخطائه التاريخية " ( حنفي، حوار الأجيال، 1998، صفحة 182)، هناك من العلوم ما أعطيت له مكانة مهمة كالرياضيات، و الطب، و في هذا الصدد نجد عبد الرحمن بدوي يقول: " إن روح الحضارة الاسلامية لا تأخذ من الحضارة اليونانية إلا ما ليس بمقوم جوهري لهذه الأخيرة، إذا رأيناها تأخذ عنها العلوم العملية التي هي قدر مشترك بين الناس جميعا على اختلاف أجناسهم و حضارتهم ...و لا تتغير بتغير روح الحضارة التي نشأت و نمت فيها، لأنها خاضعة للطبيعة الخارجية لا للطبيعة الذاتية، بينما لا تأخذ عنها العلوم الروحية أو الفنون...، و إذا رأينا الاتجاه العام لروح الحضارة الاسلامية ينفر نفورا شديدا من التراث اليوناني... و إذا رأينا هذا كله عرفنا أن روح الحضارة الاسلامية متباينة أشد التباين مع روح الحضارة اليونانية، و من معرفتنا لهذا التباين نستخلص خصائص روح الحضارة الاسلامية "(بدوي، 1940، صفحة 2).

. المرحلة الثالثة: الشرح، تم " إعطاء الأولوية للموضوع ذاته أي الشيء على اللفظ و المعنى و محاولة التعبير عنه مباشرة مع ضم عبارة الآخر داخل الخطاب

## مشروع الابداع عند حسن حنفي علم الاستغراب في مقابل علم الاستشراق

الجديد ثم العناية بالبنية والكشف عن الموضوع ذاته" (حنفي ، مقدمة في علم الاستغراب ، 1991 ، صفحة 58). في هذه الخطوة قام فلاسفة العرب بدراسة الموروث اليوناني كالدراسات التي أقيمت على أرسطو، فبالشرح يتم إظهار حقيقة النص وفهمه وتحديد مغزاه وهو ما نجده عند ابن رشد الذي اعتمد الشرح في فهم وتحديد أغراض أرسطو في نصوصه.

. المرحلة الرابعة: تم فيها تلخيص النص و " التلخيص هو دراسة الموضوع ذاته مع التركيز على اللب دون المحاجة والبرهان، بلا زيادة أو نقصان، يتجاوز النص إلى الشيء، و القول إلى الموضوع " (حنفي ، مقدمة في علم الاستغراب ، 1991 ، صفحة 58). إن التلخيص يتم بالاحتفاظ على المعنى دون تغييره ولا المساس فيه إما بزيادة أو نقصان، وإلا سيشوّه المترجم مضمون ذلك النص فيختل المعنى، نصوص كثيرة فقدما اليونان لم يبق إلا تلك المترجمة والمملخصة إلى العربية (بدوي ع.، 1987 ، صفحة 11).

. المرحلة الخامسة: " التأليف في الوافد بالعرض والاكمال، وكان نص الآخر قد تم احتواء لفظه ومعناه وموضوعه، وأصبح الموضوع هو موضوع الأنا المستقبل " (حنفي ، مقدمة في علم الاستغراب ، 1991 ، صفحة 58). ما التأليف إلا تجاوز للموروث- مهما كان نوعه - بالإضافة والابداع، فبالتأليف ندفع بالقديم ونأتي به في حلي جديد.

. المرحلة السادسة: و تكمن في : " التأليف في موضوعات الوافد بالإضافة إلى موضوعات الموروث، هنا تكتمل الصورة الكلية، و تصبح ثقافة الأخر متميزة عن ثقافة الأنا " (حنفي ، مقدمة في علم الاستغراب ، 1991 ، صفحة 58). على المفكر أن يسبق هنا العقل على التقليد و التكرار، فيستخدم العقل في فهم نصوص الوافدة لا النقل.

المرحلة السابعة: " نقد الوافد، و بيان محلتيه و ارتباطه ببيئته، و بتعبيرنا رده إلى حدوده الطبيعية و بيان تاريخيته " (حنفي ، مقدمة في علم الاستغراب ، 1991 ، صفحة 58). إنها المرحلة التي تم فيها رفض الوافد و الاقتناع بموردنا و ثقافتنا، و الاكتفاء بنص الأنا الخام، فمن الغريب الاستدلال على علومنا و عقيدتنا بفلسفة الاغريق لأنه أمر مناقض للحضارة العربية الاسلامية، إن دعوة حسن حنفي لإحياء التجربة الحضارية الاسلامية ليس بهدف التأصيل لمشروع علم الاستغراب بل لتصحيح الصورة المشوهة عن الحضارة الاسلامية في نظر الغرب.

آن الأوان للانتقال حسب حنفي من مرحلة التنظير إلى مرحلة الفعل به نقضي على ظاهرة الانهار بالآخر، و التلقي الأعمى لمنتجاته و تلك السيطرة و الاحتلال للأذهان، إنها الأسباب التي دفعت بمفكرنا لتأسيس " علم الاستغراب".

### المطلب 03: مهمة علم الاستغراب

سعى حسن حنفي من خلال " علم الاستغراب " لجعل الثقافة الغربية موضوعا للدراسة عوضا أن نكون نحن الذات المدروسة، للتخلص من عقدة النقص و التبعية التي هيمنت على العربي و محاربة أعمالهم التي تؤدي إلى التغريب، حيث أقحم الأوروبيون ثقافتهم في واقعنا دون النظر إلى متطلبات الراهن، و دون رعايتهم كذلك لعدم التناسب بين الأفكار و حتى الظروف، فبتأسيس " علم الاستغراب " يكون حنفي قد حقق به هدفين رئيسيين هما: الرد على الأسئلة العالقة منذ عصر النهضة من جهة، إلى جانب نزع فكرة جعل الغرب نمطا للتحديث دون سواه، و هو ما اعترف به حقا الكثير من المفكرين أمثال " محمد عابد الجابري " و غيره.

إن إعادة التوازن للثقافة الانسانية من مهام علم الاستغراب، نظرا لعدم تعادل الكفتين جعل الوعي الأوروبي هو سيد الشعوب، لهذا يقول حنفي: " مهمة علم الاستغراب هو القضاء على المركزية الأوروبية Eurocentrisme و بيان كيف

## مشروع الابداع عند حسن حنفي علم الاستغراب في مقابل علم الاستشراق

أخذ الوعي الأوروبي مركز الصدارة عبر التاريخ الحديث داخل بيئته الحضارية الخاصة " (حنفي ، مقدمة في علم الاستغراب ، 1991 ، صفحة 36) بعد استيعاب الثقافة الغربية يجب نقدها من طرف النخبة العربية، وإن كان هناك من سبق إلى نقد الغرب قبل العرب و هو تيار أوروبي عرف باسم " مدرسة فرانكفورت "، فما الاستغراب سوى حملة لإعادة ترتيب المواقف و الأدوار من خلال فهم عقلاني موضوعي للآخر، لا يزال حنفي مستمرا في تبيان معالم مشروعه بتحديد مهامه الثمينة، يمكننا فيما يلي تلخيص أبرز الأهداف التي بها تنجو الذات العربية من غرقها .

و من المهام التي حددها حسن حنفي (حنفي ، مقدمة في علم الاستغراب ، 1991 ، صفحة 36.43) لعلم الاستغراب نذكر منها:

- مهام فك عقدة النقص التاريخية في علاقة الأنا بالآخر، و القضاء على مركب العظمة لدى الآخر بتحويله من ذات دارسة إلى موضوع مدروس معناه قلب مفهوم الاستشراق .

بالاستغراب يتم القضاء على الاستهلاك المفرط للأنا لثقافة الأوروبي و فنه وعلمه، إذا يجب التخلي عن " اعتبار الغرب النمط الأوحده لكل تقدم حضاري ولا نمط سواه، و على كل الشعوب تقليده و السير على منواله " (حنفي ، مقدمة في علم الاستغراب ، 1991 ، صفحة 36)، أصبح النموذج الغربي معمم و كأنه النموذج الأوحده للحدائثة و الحضارة، فما على الشعوب الراغبة في دخول الحضارة أن تأخذ بأسباب الحضارة الغربية حتى تصل لما وصلت إليه الشعوب الأوروبية، فمن خالف هذا يعد متخلفا و متحجرا، إن هذا الموقف أدى بالحضارات غير الأوروبية للانحراف عن واقعها و الميل للحضارة الأوروبية بعد أن قامت ببتير جذورها التاريخية؛ فجعلوا من الغرب الحصيلة النهائية للتجربة البشرية (حنفي، في الفكر الغربي المعاصر، 1990، صفحة 13)

### جاري جويده. شلغوم سامية

. إعادة الشعور و الثقة بالنفس إلى الشعوب غير الأوروبية و وضعها في مكانها الطبيعي باتخاذ الأنا الموافق و الحلول المناسبة دون انتظار الحل من الآخر، يجب " انهاء أسطورة كون الغرب ممثلا للإنسانية جمعاء و أوروبا مركز الثقل فيه، تاريخ العالم هو تاريخ الغرب، و تاريخ الانسانية هو تاريخ الغرب، و تاريخ الفلسفة هو تاريخ الفلسفة الغربية " (حنفي ، مقدمة في علم الاستغراب ، 1991، صفحة 42)، أصبح الغرب الوعاء الذي يحوي كل شيء، زاد انتشار الغرب خارج حدوده إبان المد الاستعماري لذا وجب دفعه لموقعه الأصلي فهو لا يعبر سوى عن ثقافة معينة نشأة في بيئة و ظروف معينة، فكيف لنا أن نجعل منه تراث عالمي ؟.

. مهمة أخرى يهدف إليها علم الاستغراب هي تصحيح المفاهيم التي تكشف عن المركزية الأوروبية من منظور يكون أكثر موضوعية و حيادا و عدلا، لقد نجم عن الدراسات الاستشراقية تهميش كل الحضارات و كأنها لم تساهم في تاريخ العالم، فمن نتائج المركزية الأوروبية تم تقسيم تاريخ الانسانية إلى مراحل هي : مرحلة العصور القديمة ( اليونانية، و الرومانية )، مرحلة العصر الوسيط، مرحلة العصر الحديث، و مرحلة العصر المعاصر، إنه تقسيم يعبر عن مسار وعي الحضارة الأوروبية، فتم بذلك إقصاء الحضارات الشرقية القديمة. بالاستغراب سيتم إعادة تقسيم التاريخ وفق مسار الوعي الاسلامي نظرا لاختلاف الحقب التي مرت بها كل حضارة فالحقبة التي كانت فيه الحضارات الشرقية مزدهرة و متطورة كانت فيه الحضارات الأوروبية تتخبط في الظلام و الضعف و الانحطاط، ففي القرن الذي نعيش فيه الآن لسنا على كفة واحدة نحن الشرق و الآخر الغربي فالأول لا يزال في عصر النهضة؛ أما الثاني يعيش عصر العلم و التكنولوجيا لهذا وجب علينا الحديث باسم الوعي العربي لا باسم الوعي الأوروبي (حنفي ، مقدمة في علم الاستغراب ، 1991، صفحة 65).



## مشروع الابداع عند حسن حنفي علم الاستغراب في مقابل علم الاستشراق

- و من المهام الأساسية لعلم الاستغراب كذلك هي ممارسة النقد فيقول حنفي: " مهمة علم الاستغراب هي القضاء على ثنائية المركز والأطراف على مستوى الثقافة و الحضارة ...، فالغرب هو المعلم الأبدي و اللاغرب هو التلميذ الأبدي، فالعلاقة بينهما أحادية الطرف، أخذ مستمر من الثاني و عطاء مستمر من الأول " (حنفي ، مقدمة في علم الاستغراب ، 1991 ، صفحة 38). إن هذه النزعة التكبرية ساهمنا فيها نحن - الشرق - وقفنا منبهرين و مولعين من الآخر فهمشنا الأنا، أصبحنا نشك في كل شيء حتى في أنفسنا و هذا الشك أرجعنا للوراء عوض أن يدفعنا نحو الأمام .

مها مات علم الاستغراب كثيرة يصعب إيجازها كما نريد نظرا للتحديات الكبرى التي تصادفه، و اختلال التوازن بين عالم الشرق " الأنا " و عالم الغرب " الآخر " فخلق التوازن بينهما يكاد يكون من الأمور العسيرة نظرا للفتاوت الحضاري الموجود بين العالمين، و لكن حسن حنفي لم يعرف اليأس و لا التراجع عن طموحه، فتهميش الحضارة الإسلامية من خارطة العالم أثار فيه و ألمه ذلك كثيرا، فأراد بمشروعه هذا أن يعيد للشرق مكانته الحقيقية التي أخفاها الغرب، مما أدى بنا لإعادة قراءة تاريخ العالم الغربي و تفكيك آليات الهيمنة المركزية الأوروبية؛ أتت اللحظة التي نستبدل فيها الرؤية الأيديولوجية الأوروبية نظرا لاجتياح و ازدياد خطر الاقصاء و التهميش من خلال إنشاء مفاهيم جديدة و أكثر خطورة من سابقتها " كالعولمة "، هذا ما يطلق عليه الجابري بثقافة الاختراق بدل المركزية.

المبحث الثالث: الاستغراب في مواجهة التغريب

المطلب 01): أسباب تأسيس علم الاستغراب

## جاري جويده. شلغوم سامية

لا يخفى عن أحد أنه هناك الكثير ممن يتساءل كيف لنا أن ندرس الغرب، و لماذا ندرس هذا العالم الذي سبقنا بمراحل عدة ؟. الأمر ليس صعبا و لا مستحيلا فلنعمل ما فعله أسلافنا الذين لم يجدوا صعوبة في التعرف على الشعوب الأخرى و التفاعل معها، قاموا بأخذ ما يفيدهم و ترك ما لا يهمهم، لهذا ظهرت في عالمنا دعوات عدة لدراسة الغرب، هو ما أدى بحسن حنفي لإصدار كتابه " مقدمة في علم الاستغراب " تناول فيه أهمية دراسة الغرب التي ستؤدي بنا للقضاء على مركب النقص لدى الأنا أمام الغرب لغة و ثقافة و علما، اسباب كثيرة دفعت حنفي ليؤسس هذا العلم، و التي لخصها في كتابه " مقدمة في علم الاستغراب " سنشير إلى أهم هذه الأسباب منها:

- " بهذا العلم سنرد الثقافة الأوروبية إلى حدودها الطبيعية بعد أن انتشر خارج حدودها "(حنفي ، مقدمة في علم الاستغراب ، 1991، صفحة 51). بسيطرته على أجهزة الاعلام خاصة، فعزوف العالم العربي عن دراسة الغرب و نقده لدليل على التبعية و الخضوع للآخر، و إن كان هناك من المثقفين من توجهوا إلى الغرب ليس لدراسته بل ليكتبوا عن العالم الاسلامي، إنه أمر مؤسف حقا فهذا يعد نرجسية بالآخر وراثته، و يؤكد إدوارد سعيد هذه الفكرة حين التقى بمجموعة من الشباب اللبناني يكتبون عن لبنان في أمريكا، فقال لهم " لستم هنا لكي تكتبوا عن أنفسكم، تستطيعون الكتابة عن لبنان في لبنان، هنا يتوجب عليكم أن تكتبوا و تشاركوا في الجدل الدائرة حول أمريكا في أمريكا "(ادوارد و حديد، تعقبات على الاستشراق، 1996، صفحة 150)، إنها لمن الأمور المؤسفة حقا، فكيف ننتظر من هؤلاء و أمثالهم أن يردوا على أعدائهم إن كانوا هم لأنفسهم الأعداء.

- إلى جانب إنهاء أسطورة كون الغرب ممثلا للإنسانية جمعاء، و جعلهم أوروبا مركز الثقل في هذا العالم (حنفي ، مقدمة في علم الاستغراب ، 1991، صفحة

42) أصبحت الحضارة الغربية بشقيها الأوربي والأمريكي هي السائدة و المتفوقة اليوم، فالمطلوب من العرب و المسلمين معرفتها معرفة علمية كما درسنا الغرب في كل جوانبنا، فلما لا نقوم نحن العرب و المسلمين أيضا بإنشاء أقسام علمية تدرس الغرب دراسة علمية ميدانية في كل الجوانب.

. العمل على نقاء لغتنا و في المقابل الانفتاح على اللغات الأجنبية، و الإقدام على ترجمة الكتب و تصحيح ما فيها من نظرة خاطئة و مجحفة في حق الاسلام و المسلمين، كما فعل أسلافنا مع اليونان و إن كانت هذه البدايات متواضعة مع الدولة الأموية ثم أصبحت في العصر العباسي أكثر قوة و دقة.

. و من العوامل التي زادت في تخلف الشعوب الشرقية هو التقليد الأعمى للآخر دون أن تعي محتواه الحقيقي، مما أدى لظهور حركة التغريب .

. كما أن ظهور التيار السلفي المحافظ الرافض لكل وافد، كان في البداية تيار إصلاحى ديني يهدف لتغيير الأوضاع و محاربة الاستعمار بالحفاظ على التراث و اتخاذه معيارا لتقييم الحاضر و التصدي له، فالصواب بالنسبة لهذا التيار هو التمسك بتراث الماضي. و لا ننسى كذلك التيارات الأخرى في فكرنا المعاصر التي تحولت إلى وكلاء للدفاع عن الحضارة الغربية و العمل على نشرها، و يقصد حسن حنفي بهذا تلك الطائفة العربية التي احتضنت مذاهب الغرب و قامت بتمثيلها في الوطن العربي، حتى أصبحوا يعرفون باسم هذه المذاهب و التيارات كالرأسمالية، التفكيكية، و غيرها. إنه الأمر الذي أدى إلى تفرق الفكر العربي إلى تيارات، إننا أقحمنا أنفسنا في أمور لا تعنينا بل زادتنا تخلفا و عجزا على ايجاد حلول لما نتخبط فيه اليوم .

إن كل تلك الدراسات و المحاولات التي قام بها الوعي العربي تتسم بالنقص لكونها سطحية، و احساسهم بالدونية أمام هذا الفكر، و غياب المنهج العلمي في دراستنا للغرب هو ما أوصلنا لما نحن فيه اليوم، كذلك اعتمادنا على الجدل

### جاري جويده. شلغوم سامية

والخطابة دون نقد و لا برهان علمي، دائما نكون في مواقف انهار من حضارة الغرب و انجازاتها فنسعى إلى نشرها في الوطن العربي و تقليدها دون إبداء موقفنا منه، و لا معرفة محتواه الحقيقي.

خاتمة:

حتى يثبت الغرب نفسه لجا إلى دراسة الآخر – الشرق - و معرفته، بل عمد إلى تحطيمه داخليا، حتى أصبح خاضعا لأوامره و تابعا له في كل الجوانب، و لكي نرد على الآخر بالمثل يجب أن نقوم بدراسته فقط تكون دراستنا علمية و نزيهة، ذات منهج أكاديمي لا يخرق قوانين البحوث و الدراسات العلمية، لهذا تم انشاء علم الاستغراب به ندرس الآخر في كل جوانبه كما فعل الغرب مع الشرق، فهذا العلم يمكن تجاوز كل السلبيات و الأخطاء التي وقع فيها الاستشراق، إذ أتى الاستشراق بمنهجية جديدة يكون قوامها الحوار و التواصل بين الشعوب .

إن غياب الروح النقدية سواء للذات أو للآخر، جعلنا لا نملك ثقافة التواصل و الحوار مع العالم الغربي و ثقافته، علينا القول بأنه يمكننا استعادة أصالتنا الفكرية و استقلالنا في ميدان الأفكار و اتخاذ المواقف حتى نحقق استقلالنا السياسي و الاقتصادي و الثقافي، و الميدان الجدير بهذا هو " علم الاستغراب " .